المرأة الحقود

ما من نعمة كبرى ينعم بها الله على أحد من خلقه بعد الإيمان به من امرأة صالحة تقية، إذا نظر إليها سرته. وإنْ أمرها أطاعته ..وإنْ أقسم عليها أبرته ..وإنْ غاب عنها حفظته فى نفسها وماله ..وإنْ جلس معها أراحته ..وإنْ أخذ مشورتها نصحته وأخلصت فى نصيحتها عن علم ودراية، أو دلته على ذوى الخبرة والاختصاص ..وإنْ سار فى طريق خير شجعته ..وإنْ مضى يبر أهله ويبذل العطاء للفقراء والمساكين رافقته ..وإنْ أراد فعل سوء أو شر أوقفته ..ومن الله الجبار أخافته.

وما من نقمة كبرى، وبلاء عظيم يصاب به المرء بعد الكفر بالله ونعمه العديدة من امرأة حمقاء ..منانة ..حنانة ..أنانة ..براقة ..حداقة ..شداقة ..امرأة بذيئة اللسان ..منافقة ..حقود ..مسترجلة ..

ولكن ما المرأة الحقود؟

المرأة الحقود هى امرأة امتلأ قلبها بالحقد بدلاً من الحب ..بالأثرة بدلاً من الإيثار ..بالبخل بدلاً من العطاء ..بالقسوة بدلاً من الرحمة ..بالعنف بدلاً من اللطف ..تسعد حين يشقى الناس وتشقى إذا سعدوا ..أمنيتها أنْ ترى الآخرين يعانون.. الدموع تسيل على خدودهم، والحزن يخيم على بيوتهم، والخوف يسيطر على قلوبهم ..إذا رأت عطاء الله قد أمتد لغيرها اعترضت وجزعت، وربما تفوهت بكلمة الكفر!!

إذا نجح أبناء الجيران ورسب ابنها غلت قدور الحقد فى صدرها واكفهرَّ وجهها، واختلقت الأعذار الواهية، واتهمت لجنة التصحيح بالظلم والتزوير وعدم الدقة والأمانة ..وربما قالت: لقد بدلت أوراق ولدى مع أوراق الناجحين فرسب هو ونجحوا. وحين تتزوج ابنة الجيران من رجل ذى مكانة اجتماعية

مرموقة ندمت وتألمت رغم زواجها قبلها ..واتهمت أباها وأمها بالتسرع. هذا على سبيل المثال، وقس على ذلك جميع شئون حياتها.

الحقد آفة الآفات وعلة العلل ..وداء الأدواء الذى يشق على الطبيب أن يصف له دواء ..والمرأة الحقود ترى أبناءها أعظم الأبناء، لا ترى فيهم عيباً ..يصيح ولدها ويلهو بالكرة فى الشارع وقد يحطم نوافذ الجيران ويستغيث الناس من شره وأذاه، وترى أمه أن ذلك عملاً يتناسب مع عمره وتعد الاستغاثة بالجيران لمنع أذى ولدها نوعاً من السب والإهانة ! !

لقد عالج الإسلام وتصدى لكافة رذائل الجاهلية ومساوئ أخلاقها، ودعا أبناءه وبناته للتخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل، لتوطيد وتقوية أركان الإيمان.

..وحذر الرسول الكريم ﷺ من الحقد والحسد ونهى عنهما، وبينّ أنهما كالنار المضطرمة تلتهم حسنات صاحبها وتحرقها، وتبقى له سيئاته فحسب، لتنمو وتزدهر،وليحمل أثقالها على كتفه يوم القيامة فيخسر آخوته ويدخل النار ..قال ﷺ **(إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)** (رواه أبو داود).

كما أنّ الحسد قد يكون سببا فى طرد صاحبه من رحمة الله تعالى كما طُرد إبليس اللعين حين رفض الانصياع لأمر الله تعالى بأنْ يسجد لآدم حين أمر الله ملائكته وإبليس بالسجود له، وذلك لأن إبليس حسد آدم على هذا الفضل وتلك المكانة، وقال: أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ..وقد نهى الله تعالى المؤمنين والمؤمنات أنْ يتحاسدوا على ما أتى الله بعضهم من فضل أو نعمة أو كرم ..

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِـهِ﴾[1] ..وقال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ..

وقال ﷺ (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) (**لا تحاسدوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا بيع أحدكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً**) (رواه مسلم).

والإسلام لا يصادم فطرة البشر ولا ينكرها ..فرغم وجود الإيمان وفاعليته داخل النفس المؤمنة إلا أنّ هناك بعض الآفات والجراثيم التى تهاجم تلك النفس الضعيفة لتنهك قواها، ولكن إذا تعلمت النفس التقية كيف تقى نفسها من التعرض للأوبئة، وإذا أصيبت بها رغم إرادتها أو لكثرة انتشارها فى البيئة أو المجتمع الذى تحيا فيه، فهى تعرف كيف تستخدم المضادات الحيوية الفعالة لتقضى على الجراثيم وتعوق نموها وآثارها المدمرة ..قال ﷺ مقرراً الواقع الفطرى البشرى الضعيف وما يعتريه: "**ثلاثة لم تسلم منها هذه الأمة: الحسدُ والظَّنُّ والطيِّرةُ،ألا أنبئكم بالمخرج منها! إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تتبع، وإذا تطيرت فامْضِ**"[3] ..ومعنى ذلك أنه إذا تشاءمت المرأة أو الرجل من رؤية إنسان (رجل أو امرأة) أو حيوان أو طير (مثل القطة سوداء أو غراب أو بومة) وهى فى طريقها إلى مكان ما، أو لقضاء مصلحة، فلا يدفعها التشاؤم (الطيرة) إلى الرجوع إلى بيتها، أو إلغاء سفرها، أو تأجيل زواجها، بل تمضى على بركة الله تعالى فيما عزمت عليه من قبل ..فإنْ قدر الله تعالى كائن وحادث لا يمنعه حرص حريص ولا يعجله حسد حاسد ..وإذا ظنت المرأة سوءا بأحد من الناس فلا تعمد إلى تحقيقه أو تأكيد ظنها السيئ، كما قال الرسول

---

(١) النساء / ٥٤

(٢) أل عمران /٢٦

(٣) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال : ٤٣٧٨٩/١٦

الكريم "إياكم والظن فإنّ الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك) **(رواه مالك وأحمد والترمذى)**.

فالظن السيئ المبنى على صرح وشاية أو همسة حقود فى الأذان ما هو إلا وساوس شيطانية من شياطين الإنس، أو النفس ينبغى الحذر منها والاستعاذة بالله من شرورها، وعدم الإقدام على أعمال بوليسية أو صبيانية حمقاء لإثبات شكوك وهواجس ليس لها أساس من الصحة ..وكم من بيوت خربت ..وصلات رحم قطعت بسبب هذه الظنون..

وإذا حسدت المرأة إنسانة وتمت زوال نعمتها التى أنعم الله عليها بها من مال أو جمال أو زوج أو سمعة طيبة أو مكانة اجتماعية مرموقة، لأنها ترى أنها لا تستحق ذلك، وليست جديرة بهذا التكريم أو بتلك الحفاوة، أو ليست كفئا لهذا الند، فعليها أن تحذر أن تترجم هذا الإحساس إلى فكر أو سلوك بهدف إحداث تغيير جوهرى فى حياة هذه الإنسانة، ونقلها من حال إلى حال، بنشر الشائعات أو ترويج الأباطيل والأكاذيب، أو إلصاق التهم الباطلة، أو الاستعانة بأصدقاء السوء أو الكهان، أو تعظيم الصغائر التى تؤتى من قبلها، وتصغير عظائم الأمور ..وإلبأس الحق ثوب الباطل وإلباس الباطل رداء الحق ..وذلك بهدف إفساد حياة تلك المرأة الآمنة، وإبدال سعادتها وراحة بالها بالقلق والاكتئاب، وتلويث سمعتها ..لأنّ هذه الأعمال تعد أعمال ظلم وبغى تحاسب عليها فى دنياها وآخرها.

وقد حرم الله الظلم بكافة صوره وأشكاله ونهى عنه. فقد جاء فى الحديث القدسى (يا عبادى إنىّ حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) رواه مسلم. وقد يغرى ضعف المظلوم أو فقره أو قلة حيلته الظالم أن يمضى فى غيه دون توقف أو تريث، ليحاسب نفسه، أو يمنعها مما هى فيه،

وينسى أن المظلوم لديه سلاح أقوى وأمضى ، لو استعمله أو سلطه على رقبة ظالمه لقسمها، أو لقطعها ألا وهو الدعاء ..فثلاثة لا ترد دعوتهم، منهم المظلوم ..قال ﷺ (... **اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**" (رواه البخارى) .. وفى الحديث القدسى عن الله عز وجل (**لأنتقمن من الظالم عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً وقدر على أن ينصره ولم يفعل**) ..وختمت سورة إبراهيم فى القرآن الكريم بتحذير وإنذار لكل من تسول له نفسه الحقودة القبيحة بأنْ يسئ إلى غيره ظلماً وعدواناً.

قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾ (١) ..وقال تعالى ﴿**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ (٢)

وقال ﷺ : "سيصيب أمتى داء الأمم" ..قالوا يا نبى الله وما داء الأمم؟ ..قال: "الأشر، والبطر، والتكاثر، والتنافس فى الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغى ثم الهرج" ..(أخرجه الحاكم)..

وعن ابن عمر أنَّ إبليس لعنة الله عليه قال لنوح: اثنتان أهلك بهما بنى آدم: بالحسد والحرص ..بالحسد لُعنتُ وجُعلت شيطانا رجيماً، وأبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه بالحرص.

وعادة ما تكون النفس الحقود ضحية لتربية اجتماعية سيئة، تجعلها فى النهاية نفساً مريضة أو معقدة، تستشعر الضعف والنقص والعجز أو ظلم الأب أو الأخ ..ومن ثم تكون معطياتها وتوجهاتها ظالمة وجائرة على حقوق الآخرين، وتمنى زوالها ..لذا حرم الإسلام على الآباء الظلم والبخل وقطع صلة الأرحام..

قال عليه الصلاة السلام: (**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الدنيا فإنه أهلك من كان قبلكم**) (رواه أحمد ومسلم) ..وقال عليه الصلاة

---

(١) ابراهيم / ٤٢

(٢) سورة إبراهيم (٤٢، ٤٦، ٤٧).

والسلام: (**ما من ذنب أجدر أن يجعل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره فى الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإنَّ اعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا**) (**الطبرانى**). المرأة الحقود قد تشتهى شيئا أو تطلب أمرا غالبا ما يكون المرغوب ليس فى إمكانية الزوج ..وإذا ما وفق الله الزوج وأعانه وأنجز ما طلبت، سرعان ما يخبو فرحها، وتنطفئ شمعة سعادتها، بفعل ريح الحقد العاتية، ولا تلبث أن تطلب منه أمراً آخر ..وهيهات هيهات أنْ تنتهى طلباتها.

..القليل لا يرضيها ..والكثير لا يغنيها ..لا تشكر ربها على عطاياه، ولا تشكر زوجها مهما حملت يداه، وهى لا تستغنى عنه رغم ذلك، وتنسى قول رسول الله ﷺ (**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه**) (**أخرجه الحاكم**).

فإذا ما حضرت مجلساً للصلح بين متخاصمين ..وليتها ما حضرت ..تظاهرت بحرصها على ضرورة إنهاء الخلاف وألا ينتهى المجلس إلا وقد تضاقت النفوس، إلا أنها لا تكف عن بث سمومها من خلال كلماتها فتزداد هوة الخلاف وينفض المجلس بأسوأ مما بدأ به، وقد تكون النتيجة التفريق بين الزوجين!!

قال ﷺ: (**من خبب عبداً على أهله فليس منا ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا**)[1] .

إن هذه المرأة لتسمى فى لغة الشرع الكريم المرأة الحالقة؛ لأنها تحلق رأس الوفاق بموس الحقد القاطع من فرط العنف!!

قال ﷺ (**فإن إفساد ذات البين هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر**) أخرجه أحمد. وقال (**ألا أنبئكم بشراركم ..قالوا بلى يا رسول الله .قال: المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العيب**). أخرجه أحمد وغيره.

---

[1] أخرجه أبو داود وأحمد.